ريان حداد عن لعنة "اللبننة" في "نظرات لبنانيّة لإضطرابات العالم"

خاص - الجمهورية

على أثر انتهاء الحرب الباردة، أُودع لبنان وحكّامه وشعوبه كلمة سرّ حلّت عليهم كالسحر، بحيث توجّهوا زرافات نحو إنهاء حربهم الأهلية، وليتخلّصوا لاحقاً من مصطلح "اللبننة" الذي لطالما وصمهم بعار الخطف والتهجير والسواد والاقتتال والموت. هل ربح اللبنانيون أنفسهم ووطنهم من يومها؟ هل اختفى مفهوم "اللبننة" من القاموس؟

لا هذه ولا تلك، إذ حدث أن أسقط المصطلح والمفهوم على صراعات ونزاعات في أنحاء شتى من العالم. أما العجب، فيكمن في تحوّل هذه الصراعات والنزاعات الدولية إلى مادة نقاش وسجال وتباين وتناقض وخلاف، سياسيّ ودينيّ وإعلاميّ في لبنان، في وقت كان المطلوب من اللبنانيين النظر في أحوالهم واستلهام الدروس القاسية من تجاربهم المرّة، لا المساهمة ولو نظريّاً من خلال مقارباتهم ومقارناتهم ومواقفهم، في إبقاء شعلة اللبننة حيّة، ولو عند الآخرين.

عن أزمات كوسوفو و11 أيلول 2001 وأفغانستان والعراق ونظرة اللبنانيين حولها، صدر حديثاً باللغة الفرنسية عن دار «لارماتان»، كتاب بحثيّ علميّ قيّم للدكتور ريان حداد المتخصص في العلاقات الدولية، يظهر خلاله الخلفيّات المتضاربة اللبنانيّة في مقارباتها لتلك «اللبننة» المتجدّدة حول العالم، من منطلقات طائفية ومذهبيّة وسياسيّة إقليميّة ودوليّة، ثبّتها من خلال دراسات ميدانيّة معمّقة ولقاءات مباشرة مع معنيين لبنانيين، وما اختزنه أرشيف الصحف المحليّة.

الكتاب الذي حمل عنوان «نظرات لبنانيّة لاضطرابات العالم: كوسوفو، 11 أيلول، أفغانستان، العراق»، هو نتاج بحث لحداد في سياق نيله شهادة الدكتوراه، وقد تمّت مناقشته في معهد الدراسات السياسيّة في باريس حيث حظي بدرجة الامتياز

> يظهر خلاله الخلفيّات المتضاربة اللبنانيّة في مقارباتها لتلك "اللبننة" المتجدّدة حول العالم

من جانب اللجنة الفاحصة برئاسة البروفسور غسّان سلامة وعضوية كلّ من الأساتذة برتران بادي مشرفاً، وهنري لورنس وناصيف حتّي وفريديريك شاريون أعضاء.

يتضمّن الكتاب كلمة تمهيديّة لأستاذ العلاقات الدوليّة في هذا المعهد، الباحث برتران بادي، ينوّه فيها بمساهمات هذا البحث في إثراء علوم العلاقات الدوليّة وبمعالجته الابتكاريّة للوقائع الجديدة المترتّبة على العولمة، والتي تدعو إلى إعادة النظر في مفاهيم الديبلوماسيّة في العالم المعاصر وإلى ضرورة إعادة صياغة للسبل لحلّ النزاعات على المساحة الدوليّة.

مرجع ممتاز وغير مسبوق، لا يقصد استمطار العظات على اللبنانيين، لكنّ القارئ لا يستطيع إلاّ أن يستخلص غصّة الكاتب والباحث في استعادة «اللبننة» على البارد، إنطلاقاً من تغييب لبنان الفكرة والجوهر عن القراءات التفاعليّة مع الأزمات الدوليّة، والاسترسال في ترك المعادلات التي كانت أساساً في اشتعال الحرب الأهليّة محليّاً، قائمة على ساحتنا مع تعميمها على الساحات الأخرى.

يتحدّث الكتاب المتضمّن 498 صفحة في فصول أربعة، كيف اختلف اللبنانيون حول هويّة الضحيّة في أزمة كوسوفو أهي ألبانية أو صربيّة، وحول مسبّبات الصراع، وانزلوه على واقعهم القائم. كما يشير كم هالهم ما أفرزته أحداث 11 أيلول 2001، فتفاهموا ضمنيّاً على تهدئة معالجتهم للكارثة وترطيب خطاباتهم، وتخليفها بمبادرات صوريّة على مثال تقديم وطنهم كنموذج لحوار الحضارات. ولما توافقوا على رفضهم الغزو الأميركيّ للعراق العام 2003، فإنما فعلوا انطلاقاً من حسابات مختلفة طائفيّة ومذهبيّة وسياسيّة.

هل اختفى مفهوم "اللبننة" من القاموس؟

ليس القصد من الكتاب «اللبننة» كدراسة ومفهوم على الإطلاق، لكنّها لعنة لا يبدو أنّنا تخلّصنا منها ومن وقائعها وظروفها ومكوّناتها، طائفياً ومذهبيّاً مع تفاعلاتها الإقليميّة والدوليّة. وإذا كان التحليل العلمي قاسياً في حقائقه وصادماً في وقائعه، فلعلّ من خلال مطالعته بهدوء من قبل الطبقة السياسيّة والمراجع الدينيّة ومن الإعلاميين، العبرة والحكم.